فى المرقص

للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى

جلست فى ركن أرى منه الناس جميعا وذهبت أنتظر صديق . والانتظار ثقيل ولكنه هنا مما يهون أمره ، فقد كان اليوم يوم أحد ، وكان المكان غاصا بالفتيات الجميلات ، وكانت الموسيقى لا تكف عن العزف ، فالرقص لا ينقطع وحركته لا تفتر ؛ ولا يزال الشبان ينهضون ويتقدمون من الفتيات وينحنون لهن باسمين فترفع الواحدة منهن حاجبيها الدقيقين اللذين يبدوان كأنهما مرسومان وتبتسم وتنهض ويداها على ثوبها لتصلح منه ما أفسده الجلوس . وكان يخيل إلىّ أن كل إنسان هنا يعرف كل إنسان آخر إلا العبد لله ، فما كنت أرى وجه من أعرف . وصفقت فجاء خادم سمين أسود الوجه غليظه فقلت : اسقنى شيئا مما عندك ، وكان صوتى خافتا وقد زادت الضجة خفوته ، فمال الرجل على وهز وجهه الكبير فقلت : «هات أى شىء بارد .. أى شىء .. اذهب ، فقد كان يحجب عنى الدنيا

وأدرت عينى فى المرقص فسرتنى المناظر . آه ! .. هذه البيضاء ذات الثوب الأرجوانى ما أحلاها .. شعرها ذهبى وخصله الجميلة تهتز تبعا لحركة الرقص وكف زميلها على ظهرها تجعل هيف خصرها واستواء ردفيها أوضح وأوقع فى النفس وأسحر للعين ، وقد دارا الآن فأنا أرى كيف تمنح صاحبها صدرها .. إن صدرها ليس على صدره .. كلا .. ثديها الأيسر وحده هو الذى أراه على صدره .. ما أحلى هذا ! . ليتنى كنت مكانه ! وأحلى ما فيها إشراق وجهها النضر .. إنها مسرورة تضحك وتثنى رأسها راضية مغتبطة ، فليت شعرى ماذا يقول لها هذا الشاب الحاذق ؟ ..

واختفيا عن عينى وحجبهما غيرهما من الراقصين والراقصات.

آه .. هذه أيضا حسناء ولا شك .. ثوبها فيما يبدو لى قديم .. ووجها باهت اللون .. والأبيض كثير .. ولكن معارفها حسنة وعينها واسعة حوراء .. أم ترى هذا فعل الكحل ؟ .. لا أظن . ولكن صاحبها لا يدنيها من صدره وإنى لأرى بينهما مقدار شبر .. ولا يحادثها ولا يهمس فى أذنها بكلمة .. فهما يدوران فى صمت .. خسارة .. كنت أحب أن أرى وجهها وهى مسرورة تضحك .. ذهبت الآن على كل حال .. فلننظر إلى غيرها ..

وراقنى فرق ما بين الفتيات وهن يرقصن .. هذه واحدة تقف من صاحبها كالسيف .. خط جسمها مستقيم تماما .. وتلك التى تلبس هذا الثوب الأخضر تنأى بساقيها عنه وتلقى بصدرها على الفتى ، فلو تخلى عنها لكان الأرجح أن تقع على الأرض مكبوبة على وجهها الجميل .. أم ترى هذا ليس إلا وهما ؟ ومن يدرى ؟ .. لعلها تتقى أن يغلط مراقصها فيدوس أصابعها الصغيرة فهى لهذا تبعد بساقيها عنه .. ومن يدرى أيضا ؟ .. فعسى أن تكون غايتها أن تريح صدرها جدا عليه .. وهذه السمينة التى تحرك جسمها الثقيل ببطء .. صاحبها أسمن منها فهما مسكينان .. ألا ترى كيف يمسح عرقه .. ولكن الغريب أنى لا أراها تعرق مثله .. وأحسب أن هذا من فضل الله فلو تصبب عرقها لنَثَرَّ على المسحوق ورسم خطوطا تجعل وجهها كأن فيه أخاديد .. ولكن لماذا وكيف لا تعرق ؟ ..

وسكتت الآلات وكانت الأرجوانية من نصيبى ولكن وجهى كان إلى غير جهتها فلم أستطع أن أديره إليها .. قاتل الله الشعور بالذات .. لماذا لا أنظر إليها ؟ .. لن أخطفها أو آكلها .. ولا أظن أن نظرى إليها يسوءها كما يسوءها الانصراف عنها كأنما هى لا تستحق نظرة .. وإنها والله لآية .. ولمحت شيئا عظيما إلى يمينى فى مدخل النافذة فالتفت فاذا الخادم الأسود الضخم الجثة فضحكت — فى سرى فما أستطيع أن أقهقه وأنا وحدى فى هذا الحشد — وحدثت نفسى أن الله اختار لى أن يكون هذا الزنجى العظيم زميلى فى ليلتى هذه وأنيسى فى وحدتى .. وحولت وجهى عنه مستعيذا بالله ، ونظرت فى الساعة ورجوت أن يحضر صاحبى فيزيل هذه الوحشة وينحى عنى هذه الغمة الحالكة السواد .. ولكن صاحبى لم يجىء فلا بد أن أعتمد على نفسى فالتفت إليه وطلبت شيئا لأصرفه عن مكانه فذهب ووسعنى أن أجيل عينى مرة أخرى فى الجلوس فرأيت فتاة فى ثوب داكن الحمرة ذى شقين وفى أذنها قرط هو حبة كبيرة من اللؤلؤ .. المزيف بالطبع .. وهى سمراء فلعلها مصرية .. أعنى لا عبرانية ولا أوروبية .. وشغلنى من أمرها أنى لا أستطيع أن أتبيَّن أهى بدينة أم نحيفة ..

وتعجبت لهذا . . ولكن المائدة أمامها وهي متكئة عليها بذراعيها فالبادي منها هو صدرها مضموما . . ووددت أن تقف . . أعني أن يدعوها أحد إلى الرقص . . ولكني لا حظت أنها لا ترقص أبدا . . ولم أر واحدا من هؤلاء الشبان دنا منها وانحنى لها أو ابتسم أو أشار أو فعل غير ذلك مما تدعى به الفتاة إلى الرقص . . فهل هم يعرفون أنها لا ترقص ؟ . هي مثلي إذا . . ولكني مهيض الساق فهل تراها . . ؟ لا لا . . إني رجل ، فلا بأس ولا ضير على من كسر يصيب ساقي ولكنها تكون مسكينة حقا إذا كان الله قد امتحنها بمثل ما امتحنني به . . أعوذ بالله . . كلا . . لا أظن . . وشاء حسن الحظ أن تقوم الفتاة في تلك اللحظة وأن تقبل على جيراني فإذا قدها سخيف جدا فانصرفت عنها وحمدت الله الذي أبى أن يشغلني بها عن الجميلات . .

وأطفئت الأنوار وبقيت بضعة مصابيح حمراء وخضراء وعزفت الموسيقى لرقصة التانجو فقلت هذا أحسن وأمتع . . واذا بشاب أسود وعلى عينيه نظارة يقترب من الفتاة الهيفاء ذات الثوب الارجواني ويهز لها رأسه فتنهض مرتاحة مسرورة يا أخي ! . . أما ان هذا لغريب ! . . من أين عرفها ؟ . . بل من أين جاء ؟ فقد درت بعيني في المكان كله ولم أدع ركنا أو زاوية الا حدقت فيها ؛ ولست أعمى ولا قصير النظر وان كنت أحمق قليل العقل . . وهززت رأسي مستغربا . . وقلت لنفسي لولا ان الله ابتلاني بساق لاخير فيها أما كنت انهض انا أيضاً لأراقص هذه البنت الجميلة ؟ . . وزاد عجبي أني رأيته يحسن الرقص وأنها فرحة به ومقبلة عليه . ورنت ضحكتها الفضية فقلت لنفسي يا ملعون ! . وظريف أيضا ؟ . . اذن أنت تستحق هذه النعمة التي كنت أظنك غير جدير بها . وقد وهبتكها فليس أحق بها منك ! . .

وكانت أصابعي تعبث بعلبة الكبريت وتحركها على صوت الموسيقى أراعي الراقصين ولا يفوتني ان أنقد حركاتهم اذا كان قد فاتني ان أشاركهم فجعلت أقول لنفسي . . لا . . هذه الميلة ليست حسنة ولا رشيقة . . كان ينبغي أن يكون الانحراف فيها أقل . . هذا الأحمق يجب أن ينزل بكفه الغليظة الى الخصر . . ماذا يظن أنه يصنع ؟ . . ألا يرى أن الفتاة تميل الى الوراء فكيف يبقى كفه على طرف الكتف ؟ . أما انه لمجنون . . وهذا الأبكم ألا يجد كلاما يقوله لصاحبته فيشبع البشر في محياها ؟ . . لماذا يدعها كأنما صب وجهها في قالب ؟ . . في أي شيء غيرها يفكر هذا الأبله ؟ . . أما لو كنت أنا مكانه ؟ . . اذن لأريته . . ولكني مع الأسف قاعد أنظر ولا أرقص . وقد خدرت ساقي من طول ما تركتها على أختها فلأرحها قليلا

وأنزلت ساقي والتفت وأنا أعتدل في مجلسي فاذا الزنجي الضخم واقف الى جانبي ، فقلت يالها من ليلة سوداء ! . ماله لا يتحول عن هذه النافذة ؟ . . وخطر لي أنه يتوهم أني قد أهرب منها فإنها تؤدي الى شرفة تنتهي من آخرها الى السلم ، فقلت أعطيه القروش التي لا يستحقها وأريحه وأستريح فقد طلبت شيئا باردا فجاءني بشاي سخن . وأحسب انه لم يسمع أو لعله ظن الشيء شايا . . فما أذكاه ! . . وبدا لي أني أظلمه فليس ذنبه انه أسود وان جثته ضخمة وان شكله بغيض . ثم ان له حقا في الوقوف حيث يشاء مادام لا يزحم المكان ؛ وأين بالله يقف الا في مدخل باب أو نافذة استعدادا لتلبية الطلبات ؟ فلندعه على كل حال .

وأردت أن أنهض وأنصرف فقد تأخر صديقي جدا ولم يعد من المنتظر أن يحضر ، ولكني استحييت أن أمشي أمام هؤلاء الفتيات الجميلات وضننت بهن أن أعكر عليهن صفوهن برؤية رجل أعرج يظلع أمامهن ، وقلت أنتظر حتى يستأنفن الرقص ويشغلن به عني . ولست أستحي من العرج الذي منيت به فما فيه ما يدعو الى الخجل ، لكني أكره الفضول وأستثقل من الناس أن يديموا النظر الى رجلي كأنها شيء غريب جدا . وما ركبت الترام قط الا ضايقني الناس بهذا الفضول . وما أكثر ما رأيتهم يتحدثون ويشيرون الى ساقي غير عابئين بشعوري . ولهذا رأيت أن أتخذ سيارة لأريح نفسي من هذا الفضول

وودعت الخادم الغليظ وتحريت أن أرضيه فقد ظلمته وان كان هو لا يدري ولا يعرف ما كان يدور في نفسي كلما وقف الى جانبي . وخرجت مترنحا - لا من السكر فما شربت الا ماء فقد تركت الشاي - وانما كنت أترنح لأن رأسي كان يدور . ولي العذر فقد يحتمل المرء واحدة جميلة ولكن من العسير أن يحتمل فتنة كل هذا الجمال الراقص

ابراهيم عبد القادر المازني